صفحة خاصة بالذكرى السادسة لرحيل الشاعر الكبير حسين ابوبكر المحضار

حسين المحضار
صانع النوح
الحضرمي

حسين المحضار .. صانع الفرح الحضرمي
لأن حسين ابوبكر المحضار هو صانع الفرح الحضرمي فإن ذكرى رحيله السادسة تتحول كالعادة كل عام الى مهرجان للفرح والغناء والشعر والمساجلات الادبية .. تسهر الشحر والمكلا حتى الصباح كل عام في مهرجان ذكرى رحيل عملاق حضرموت ونبض قلوب وأفراح الحضارم .
يقول صديقي الاعلامي البارز (فضل النقيب) كلاماً جميلاً عن حسين المحضار .. يتحول ابن النقيب الى عاشق محضاري وهو يتحدث عن هذا العملاق :
المحضار ..دوحة عصافير ومجمع أنسام ومصنع للاشعار الرقيقة والحكمة الدارجة واللعب مع عواطف الحبيب .. والتلاعب بها !! .. إنه أشبه بالقط حين يستعرض مهارات يديه وعينيه وجسمه اللدن وذاكرته المطبوعة على الصيد !!
وعندما يقرأ فضل النقيب الدهشة على ملامحك من وصفه للمحضار .. يضيف:
ولكن المحضار قط من نوع جميل .. يحبك القصص من الذاكرة الشعبية ويلمع العامية لتخطف ببريقها أبصار الفصحى .. وقبل هذا وذاك يكتب الرجل وهو يغني .. ! أو يغني وهو يكتب !! الايقاع أولاً ، والايقاع أخيراً !!
وبين هذين العمودين ينسج الشعر من اللحمة والسدى .. ويحبكه ليصبح (معوزاً جميلاً) .. صناعة حضرمية طالما اشتهر بها الوادي الذي يصيغ خناجر الفضة وقلائد الذهب وأجسام السفن الماخرة للعباب !!
إذن .. فهذا يعني يافضل إن داخل الحبكة تجد العواطف مكانها .. فتتسع للسمراء والخضراء والبيضاء والمتمنعة والمتسامحة والبدوية والحضرية للسهر تحت القمر وصيد الغزلان ومقارعة الوعول .. هذا يعني أن تقاليد ولغة السمر في وادي حضرموت ألتقت أنهارها في سد المحضار !!
يضيف النقيب : لذلك تجد المحضار دائماً يحمحم ، شأن المياه المسجونة !!.. ولكنه يجد قنوات التفريغ الذاهبة الى النماء والخضرة والحياة ،وما أكثر العصافير في ذلك الوادي المليء بالحياة والفقير بمقوماتها !!.. ومابين الامتلاء والفقر قصص مذهلة من النجاح والكفاح الذي امتد في أعماق آسيا الى الهند واندونيسيا وفي شرق أفريقيا وفي امتدادات جزيرة العرب .

المحضار .. شجرة مثمرة

لم يأت شعر المحضار من الثقافة الدينية ولامن الوجاهة الرسمية وإن كان وثيق الصلة بكليهما ، ولكنه منذ نبض الناس الحقيقيين .. فهو يتعامل مع الحلم وليس مع المثال .. إنه يتنفس الحواري والهزائم التي تهز البشر العاديين ، والاحلام التي تحفز استمرارهم في الحياة واستخدامهم لقواهم الحيوية ..
المحضار .. شجرة مثمرة تأكل منها الطيور ، ويستظل بها المارة .. تشحب حين الجفاف ، وتمتلئ بعصائر الحياة في موسم الامطار .. ويمكن لمسها باليد والتأرجح بين فروعها المثقلة .. إنها شيء حقيقي كما هي الحياة !!

المحرر

بقلم الأستاذ: **عبدالقادر بامطرف**

نظرات في أشعار غزلية للمحضار

إن لم يكن / المحضار/ هذا هو الفنان الاصيل فمن هو الفنان الاصيل ؟
وماهي مواصفاته؟
إن وجود / المحضار/ بيننا كشاعر غنائي شعبي ممتاز وكملحن متفرد ترك أثره في محيطنا العام فأصبح الناس ينظرون الى فنه كحاجة ضرورية لهم يتطلبها المجتمع على مختلف مشاربه ومستوياته الثقافية ، ونرى / المحضار/ يقول :

أنا كما الطير لي هو دوب شادي
ويعيش فوق الشجر
وبين اغصانها رايح وغادي
وان هزه الشوق فر
سل عن نشيدي وفني كل وادي
واتخبر العشب عني والبواسق والسمر والقتاد

وخاض المحضار تجربة العشق هذا اذا صدقت اشعاره وخرج منها مثخناً بالجراح :

أنا خضت بحر العشق واخرجت اصدافه
وقاسيت كم غصات منه وكم آفة
وغصات بحر العشق سل عنها من خاض

ويذكر المحضار في قصائده الغزلية : أنه كان عفاً بريئاً في محبته لايلتمس الجمال لينال منه ويأثم فيه ولكن ليتمتع بالنظر إليه عن كثب ، ولكي يريح نفسه بالحديث العذب مع ربات الفن واللطافة ، يقول :

شاقنا لطفك وفنك والكلام الزين منك
ماعشقتك لجل حسنك والجمال البديع

ومع ذلك لم يسلم المحضار من الاشاعات والحكايات والتهم وقالة السؤ ، وفي ذلك يقول :

والله لا بأرضى بعرضي يستباح ونانقي انقى من الباحة
مامقصدي في الحب شيء غير الصلاح كل ماخرب حاولت اصلاحه
وان كان يرضيك افتضاحي او بيعتي ببع الاضاحي
قل لي برأيك بااسمعه بوضوح
الحب مثل البحر تلعبه الرياح كل مالها إلاّ هاجت أرياحه
ياكم وكم من فلك فرفربه لواح بحريته غابوا وملاحه
ودخلت نا وخرجت صاحي والموج من كل النواحي
مجراي في مجرى سفينة نوح

ومن آن لاخر يساور المحضار الشاعر الاحاسيس الرقيقة الشوق وتهيجه الذكرى فيعلق خياله بالجمال وباوقات الود والوصال وربما سنح له المنظر البديع الانيق ذو التعطف والحنان والرشاقة واللطف لكن لامجال فيه لمغازلة ولهو ، فيرتاح له ويعجب به ولايدعه حتى يخلده بقصيدة غزلية يبعث فيها التحية الى من أثارت كوامن وجده ولو للحظة عابرة مثال ذلك :

يانفس قلبي كلما شفته قلبي من الاحزان انسته
لك في المحبة فن زايد عالفنون والسحر في عينك تعلمته
ولك في كل شيء معنى وقانون ياعود غصنك زان من نبته
وكل شيء لاحان له وقته ماشفت شيء يشبهك من بين الغصون
ياريتنا خيلك تبكرته على الرغم الحسد ليهم يحسدون

والمحضار حين يخذله الواقع الفني يلجأ الى الاحلام .. احلام اليقظة فيتخيل اموراً يعتقد فيما بعد أنها حقائق في حين أنها تخيلات شاعر .. أقرأوا له :

من طول ساعات السهن زاد الشجن ياهاجري ماكان ذا المسهون
القلب عاده ماسكن لا له ون العين ماشافت هناء وسكون
متى لقانا بايكون عاعين محدث والحصون
والجحي ذاك الزين حتى وأن جار الزمن
اوجف وادينا واصبح شعبنا مزمون او فرقت نحنا الفتن
مازال قلبي فيك متولع وبك محنون ماأثرت فيه الشطون
ولا الوساوس والظنون لي جات بعد البين
اذكرك كلما غيث شن لأن في ذكرك خزى للناس لي يشنون
وان مرطيفك في الوسن وامسى يواسيني وأهل الحب يتواسون
هيج غرامي والجنون وتفجرت مني العيون
فوق الوجن يخوين ذاليه ياظبي اليمن
نسيت مرعاك الخصيب والوادي الميمون وسقيتني دنا فدن
من علقم الفرقة وبعت اصداقتي بالدون حاشاك في عهدي تخون
اوتنسي الوعد المصون وعد المحبة دين
قلبت لي ظهر المجن وامست حياتي بعد هجرك عربدة ومجون
والعظم من بعدك وهن وانت سبب هوني ولولا أنت ما باهون
واهملت مالي والبنون امشي تصكصك بي الركون
ماادري بنفسي وين

فهل اهمل المحضار ماله والبنين؟
وهل كان يمشي فتصكصك به الركون؟

وهل اضحت حياته كلها عربدة ومجون ؟
هنا .. لانجيب على هذه التساؤلات بأن ذلك كان مبالغة منه ولكن الواقع أنه حلم اليقظة ..!! إنها أمور في وعي الشاعر الباطني تبرز للسطح في اشعاره رونقاً وبهاءً.

فن الغزل عند المحضار متعدد الاشكال والالوان

لقد عالج المحضار فنون الغزل المحتشمة التلقيدية في اسلوب قوي ومشوق واخاذ بكلمات مانوسة على جانب كبير من السماحة والملاحة والاشراق ولاغرو فالمحضار زوج واب وجد ومن أجل ذلك يعطي مكانته الاجتماعية حقها من الاحتراز بلغ به درجة فلم يجار حتى الشاعر باحسن في استجدائه للقبلات وفي التعريض بقوله :

واجتمعنا علي ماكان ماشى مفتد لابعده ولاحساب

فإذا تغزل المحضار أتى بالكلمات العامة كقوله :

لولك عين تنظر وعول الواد لولك عين
كم من زين مابينهم ماعاد بعده زين
قناصة قصرت بنادقهم وان كذبوا ماحد يصدقهم
من يقدر في حامل أثمانين

أو قوله:

نظرة وبس ماتكفي لابد من تعارف وانسجام
كلمة وبس ماتشفي لابد يتبع الكلمة كلام
يابوي كبدي جمره من حب اول نظرة
ياريتنا ماحبيت

●●●

شفته ووافق شفي وبدأنا لقانا بالسلام
وبديت سري المخفي كأني اعرفه من قبل عام
من أجل اعرف سره واحكي له اشياء اخرى
بها لحد ماحكيت

●●●

سرحت نحوه طرفي انظر في جماله والقوام
وسألت مثل الصحفي من سيئون أنت أو من شبام
لهجتك فيها نبرة تشبه شبام الصفرة
صبت الغرض أم زليت صنع جمالك عرفي
روماني مولع مستهام واظهر امامك ضعفي
كأني عبد عندك او غلام ما للنفوس الحرة عالجب هذا قدره
يرمي بها حيث الحيث ودي اطرحك في كفي
ياخاتم غريب الشكل تام واستلبك عاكتفي
ياميرز دقيق الصنع سام تعطي رفيقك شهرة عند المحك والزرة
في البيت او خارج البيت

كلام كله السحر الحلال فلا ميوعه ولاقلة حياء ولا استهتار وانما كلام عادي يستطيع أن يقوله الانسان دون أن يخجل من القائل او السامع ، وقد اصبح هذا الاحتراز من خصائص شعر المحضار الغزلي .
والمحضار في غزلياته عاشق مبرقع بالحياء وعفة اللسان فهو في نظري عاشق محافظ بسبحة ومسواك فهو لايفصح في اشعاره الغزلية عن اسماء معشوقاته ولايتم حديثه عن اتصال مكشوف ولاعن لمس او تقبيل او معابثة او مضاجعة وفي بيت واحد من قصيدة قديمة قالها ايام الصغر ذكرى توسد ذلك الموقع الساخن الناعم بين نحر وساعد عشيقته وحتى ذلك الكلام قاله على استحياء ولم يكرره ابداً في قصائده الغزلية لكن الحياء احياناً يقلب علي المحضار كفة الميزان يجعله يقول كلاماً كان الاولى أن يجعله علي سلان معشوقته مثال ذلك قوله:

تعال في عتيم الليل لاوهدت الحافلة
ترى الحب مايبغاتها ويل وعنافة
ووقت اللقاء له حين لافات مايعتاض
ترفق بحالي من جفاك العنالافه
ونفسي غدت من شدة البين مختافه
وقلبي من الهجران في بقعته مارض
مثل هذا التهيب من وقت الوصال

ومن رقابة العذال تقوله المرأة ولايقوله العاشق لأنه كلام شبيه بطبيعة المرأة في الخوف والفزع وسواء قالت المرأة ذلك عن صدق او قالته كنوع من الغنج لاجل تشب النار في قلب الرجل لتجعله اكثر تعلقاً بها وللناء اساليب غريبة في هذه الامور لانظن المحضار يجهلها .

المحضار في غزلياته عاشق مبرقع بالحياء وعفة اللسان

لابد لنا هنا أن نحارب المحضار بسلاحه!!

ولم أقرأ قصيدة للمحضار اودع فيها متانة شاعريته وعمق تفكيره وشفافية احاسيسه كالقصيدة التي ساوردها في التذلل لمعشوقته والتذلل عند العشاق من ارقى درجات المغازلة والمراودة في مراحل العشق الاولى .. ولقد اظهر المحضار في هذه القصيدة براعة في محاولة الولوج الى قلب المعشوقة باسلوب شاعري خالف القاعدة المضطردة عند عشاق الغزل الحضارمة .. يقول المحضار :

كل امر سهل من دون الوداع
كيف انا باودك
بعدما قد شاع لك حبي وذاع
والحشاء مستودك

بديع جداً .. في هذه القصدة استعمل المحضار الشعر الحميني المفصح على غير عادته في معظم قصائده الغزلية .. ولجأ الى الترنيم في مطلع القصيدة فاعرب جملة (كل أمر) فجعلها مبتدأ بضمة ظاهرة ومضاف بكسرة ظاهرة ، ثم جعل خبر المبتدأ (سهل) وبناه على السكون طبقاً للقاعدة الشعبية والترنيم عند الادباء يعني أن تأتي في الشعر الشعبي بجملة او كلمة فصيحة او زن تأتي في الشعر الفصيح بكلمة شعبية وذلك لتعمق المعنى في نفس السامع .
ومن أرق واعذب ماقاله المحضار في مقام التذلل قوله :

تشاغلنا بذكرك والتهينا
وانت لم تزل في سلوتك لاهي
ومتعالي ومتكبر علينا
ومتفاخر بتاج الحسن متباهي
تظن الحب قصة او حكاية

المحضار .. وبلفقيه
يادمعة العين..؟

في عام ١٩٦٥م زار الشاعر الكبير الراحل/ حسين ابوبكر المحضار/ دولة الكويت الشقيقة.. وفيها التقى بالفنان القدير/ ابوبكر سالم بلفقيه/ حيث عقدا صداقة متينة شكلا بها ثنائياً رائداً للاغنية اليمنية الحضرمية ذات الاصالة وعمق التاريخ.
وسافرا في اثرها الى كل من سوريا ولبنان، ونتج عن هذه الزيارة تسجيل عشر من اغنياته بصوت الفنان/ ابوبكر علي/ اسطوانات.
ثم استمر نهر المحبة والعطاء متدفقاً بينهما حتى رحيل المحضار في فبراير من عام ٢٠٠٠م.

اعادة الفائت الى حاله محال لكن قلبي ما توقع في محله
لاجيت بانسيه تذكره الخيال وآثار بقيت بعد محبوبه وخله
وفراق من تهواه وحله ما أطول الايام بعده والليال

عاشوف ليلي طال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

قسي علي دهري لقى بئس الفعال ياهوين كم قاسيت من دهري وفعله
غصبا سقاني المر من بعد الزلال وفي معاداته خطى حده وزله
تفريق يعطيني وجمله وكم يدحرجها على رأسي جبال

العقل منه مال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

ياطيفه الميمون جد لي بالوصال باقضي معك ان عاد شيء في العمر وصله
تعال سامرنا وانسنا تعال واشفي بقربك صوب في جوفي وعله
حتى ولو في حين غفله لحظة معك احلى من الشهد الحلال

واغلى من الآمال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

تم البصر كله وتم الاحتيال والامر فأجانا نزل من قبل حله
ما يليق بي غير الرضى والامتثال والصبر في دار النكد عاده ومثله
ماباظهر آثار المذله خائف إذا اهتميت في الدنيا بحال

تنتصر العذال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

ايام لي نفحس يميني عالشمال على حبيبي لي افترق شملي وشمله
ما جاتنا من بعده الدنيا قبال يارينا سرته معه أو سرت قبله
يمضي علي الوقت كله في زلزله والدمع دائم لايزال

من مقلتي سيال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

ياطيفه الميمون جد لي بالوصال باقضي معك ان عاد شيء في العمر وصله
تعال سامرنا وانسنا تعال واشفي بقربك صوب في جوفي وعله
حتى ولو في حين غفله لحظة معك احلى من الشهد الحلال

واغلى من الآمال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

تم البصر كله وتم الاحتيال والامر فأجانا نزل من قبل حله
ما يليق بي غير الرضى والامتثال والصبر في دار النكد عاده ومثله
ماباظهر آثار المذله خائف إذا اهتميت في الدنيا بحال

تنتصر العذال
يادمعة العين جودي علي رفيقي
خفي بعض الذي في البال

■■■

من الحياة

يكتبها/ إقبال علي عبدالله

يا "حنان"!!

●.. يا "حنان"، يا "حنان"، يا "حنان"، صرخة توجع القلب وتبكي العين يطلقها كل يوم ومنذ أسبوع المواطن / الصلوي/ في شوارع مدينة تعز، صرخة لا تجد صدىً لها سوى حبس الأنفاس من المجهول القادم بعد أن دخلت مفكرة حياتنا اليومية مشهد قبيح بكل معاني الكلمة.. مشهد أقسم بالله أنّه ليس من عاداتنا وتقاليدنا وحضارتنا اليمنية أبداً عن جد وجد الجد.. كما أنّه لا يتصل بديننا الإسلامي الحنيف بأية صلة.

●. يا "حنان"، يا "حنان"، يا "حنان" صرخة أب أوجعت قلب كل مواطن، يطلقها كل يوم عبر مكبر الصوت والدها /طه الصلوي/ باحثًا عن فلذة كبده / حنان/ ذات الستة أعوام، طفلة بريئة فجاة ومن دون مقدمات ولا أسباب وجدت نفسها منذ الخامس والعشرين من شهر يناير المنصرم بعيدةً عن أمها ووالدها وأخوتها.. بعيدة لتكون في أيدي مجرمين انتزعت الرحمة من قلوبهم، وحوش بشرية أغواها الشيطان وجعلها لا تخاف الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

● .. مشهدٌ رجلٍ كاد يفقد عقله إن لم يكن قد فقده فعلاً، وهو يجول في الشوارع والأزقة في مدينة حالمة لم تتعود يومًا مثل هذا المشهد؛ لأنّها مدينة سكن الحب والحنان والوئام في أحشائها.. نعم رجل يجول حاملاً مكرفونًا يصرخ عبره منادياً ابنته يا "حنان" البالغة ستة أعوام، غابت عن عينيه وعيون والدتها منذ نحو ثلاثة أسابيع، وهي تلعب أمام منزلها.. غابت ليخطفها رجل، أقسم بالله أنّه ليس من بني البشر؛ لأنّه لا يعرف أنّه فعل المأساة بكل صورها.. أم لا يتوقف الدمع من أعينها، أب فقد عقله، منزل غابت الابتسامة منه.. أخوةً لا يغادرون حضن الأم خوفًا من وحش آخر يختطفهم.. أي عالم نحن نعيش فيه.. فلذات الأكباد تخطف ولا نملك غير الصراخ، والعجز في القبض على هذه الوحوش.

●. ما هزَّ كياني وأفقدني توازني وأنا اقرأ سطور هذه المأساة في العديد من الصحف بما فيها الحكومية، أنّها وقعت في مدينة "تعز".. ولا أخفي عليكم سرًا إن قلت إنّها مدينة الحضن الذي ناوي إليه كلما شعرنا بالخوف من هذا الزمان.. وأنا عادةً ما أشعر بهذا الخوف وآخذ نفسي دون أن يعلم أحد حتى أقرب الأقربباء إليّ واتجه إلى "تعز" لأنام دون خوف في ثنايا حضنها يومًا أو يومين وأعود إلى عدن متجدد النشاط آمنًا من كل خوف.. "تعز" هذه لم يتركها الوحوش في أمانها.. دخلت إليها لتعبث بنعمة الأمان الإلهية فيها.. فمشهد الوالد /طه الصلوي/ ومأساة طفلته / حنان/ تجعلنا نصرخ بكل قوة وبصوت عالٍ يعانق السماء بأن تتحرك الضمائر في نفوس وأجساد القائمين على أمن الوطن كله وليس "تعز" الحالمة وحدها.. تتحرك لإعادة /حنان/ إلى حضن أمها.. وإعادة الطمأنينة لأسرتها.. والعقل لأبيها.. صرخةً في الضمائر ما زالت فيهم، أولئك النفر الذين أقدموا على اختطاف الطفلة /حنان/ لإعادتها إلى ملاعب صباها والاستغفار إلى الله ليغفر لهم فعلتهم الشنيعة هذه..

●●●

وصية

● .. لا يخاف الموت إلا من كان غير مؤمن بالله تعالى.. فالموت حق.. لأننا إليه راجعون. وإن كنّا لا نتمنى الموت حبًا منا في الحياة.. إلا أنّ هذه الحياة تدفعنا في أحايين كثيرة إلى كرهها والتضرع إلى المولى العلي القدير بأن يتقبلنا قبولاً حسناً وينزلنا منازل الشهداء والصدّيقين.

وأقسى ما يعز في نفوسنا من هذه الحياة.. قلة الوفاء.. ونكران (المخوة) والصداقة عندما يأتي موعد تبادل الوفاء.. إنّا لله وإنّا إليه راجعون.. لذلك فإنني وهذا ليس تشاؤماً مني.. بل تفاؤلاً وكبرياءً.. أوصي بأن لا يسير وراء نعشي إلا أخوتي ومن هم لا يحبونني.. وأن لا يكتب أحدٌ عني بعد رحيلي.. والله على ما أقوله شهيد..

●●●

أغنية الأسبوع

.. ".. أعطني حريتي أطلق يديا
إنني أعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيدك أدمى معصمي
لمَ أبقيه وما أبقى عليا
ما احتفاظي بعهودٍ لم تصنها
وإلامَ الأسرُ والدنيا لديا؟
أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ
فيه عزٌ وجلال وحياء
واثق الخطوة يمشي ملكاً
ظالم الحسن شهي الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الزبى
ساهم الطرف كأحلام المساء.."

"شعر د . إبراهيم ناجي"

عزيزتي الأم ..
عزيزي الأب ..

عند ملاحظة سلوك غير سوي لطفلك عليك بالجلوس معه أو الاستعانة بذوي الاختصاص في هذا المجال